الفصل الثامن

الشرعية السياسية والطريق إلى الزعامة

obeikandl.com

هناك شبه اتفاق بين المراقبين على أن المرأة فى العالم الثالث قد نجحت فى الوصول إلى قمة السلطة ، مثلها فى ذلك مثل المرأة فى العالم المتقدم ، ولكنّ هناك فرقاً أساسيًّا يمكن رصده وتحديده فيما يتعلق بوصول المرأة إلى الزعامة السياسية فى كل من العالمين، ففى دول الشمال أو دول العالم الذى اصطلح على تسميته بالعالم المتقدم ، استطاعت المرأة هناك أن تصل إلى قمة السلطة السياسية نتيجة الممارسات المستمرة للديمقراطية المترسبة فى مجتمعات هذه الدول منذ فترة طويلة ، فالمرأة هناك تصل إلى منصبها السياسى الرفيع بعد تاريخ طويل من الممارسة السياسية التى تبدأ من القاع إلى القمة ، ومن الشباب إلى الكهولة، وطبيعة المجتمع الذى تعيش فيه تسمح لها بذلك وأكثر .

أما فى الدول النامية ـ دول العالم الثالث ـ فنجد أن زعامة المرأة السياسية لم تنبع من تلك الممارسات الديمقراطية التى تحدثنا عنها فى داخل المجتمعات المتقدمة ، وإنما يكون دافعها إلى اعتلاء عرش السلطة السياسية إما التعصب العائلى أو الظروف التى تعصف ببلادها ، وهى كثيرة ومتنوعة ، تتراوح بين القتل والاغتيال والحكم العسكرى، بحيث تكون المحصلة النهائية لظهور تلك الزعامات النسائية أنها قد نشأت فى ظل ظروف غير طبيعية ، فإما قتل أو اغتيال أو عصبية قبلية ، ولكنها فى رأينا على أية حال بدايات طيبة على طريق الديمقراطية ، بشرط أن يحافظ الشعب نفسه على هذه التجارب .

واختيارنا للشرعية السياسية ، كسبيل وحيد وآمن لوصول المرأة إلى الزعامة السياسية بعيداً عن حوداث القتل والاغتيال يؤكد ضرورة أن يكون لهذه الشرعية المقام

الأول فى اجتياز المرأة لاختبار الزعامة السياسية ، بحيث تبدو داخل الملعب السياسى كإنسان مرغوب فيه جماهيريًّا ومؤهل للقيادة ، هذه الشرعية يجب أن تسود كل المجتمعات البشرية بعيداً عن شبح الديكتاتوريات العسكرية والانقلابات ، التى عادة ما يصاحبها مصادرة الحريات وأُفول نجم الديمقراطية .

إن الشرعية السياسية التى تتمثل فى احترام الإرادة الشعبية والجماهيرية عند الاختيار هى السبيل الوحيد المعترف به إنسانيًّا كسبيل للزعامة السياسية بالنسبة للرجل أو المرأة على السواء .

وهذه الشرعية فى رأينا حين تسود يكون لها معنى واحد فقط ، هو أن هذا المجتمع أو ذاك قد نضج فكره ، وتعدى مرحلة المراهقة السياسية . وأصبح أفراده قادرين على اختيار من يمثلهم من أجل صالحهم وصالح المجتمع كله ، بعيداً عن وصاية أحد ، وبصرف النظر عن النظر إلى النوع أو الجنس . وحين تسود هذه النظرية العظيمة ، يكون للمرأة نصيب كبير ومكان محفوظ على طريق الزعامة السياسية .

وهذه الشرعية السياسية ترتكز فى رأينا على عاملين أساسيين : أولهما : يرتبط بالمجتمع الذى يعيش فيه الناس ، والذى لديه خبرة ديمقراطية عريقة ، ليست وليدة المصادفة أو موافقة لأمزجة الحكام وهواهم . . بل تتمثل فى اختيار الشعب لممثليه بحرية واقتناع ، وإقباله على المشاركة فى الأحزاب السياسية التى بادر من تلقاء نفسه ـ وبدافع المصلحة العامة ـ بتكوين تلك الأحزاب ؛ وحتى لو وصل عدد هذه الأحزاب إلى ألف حزب ، فالعبرة هنا ليست بالكثرة العددية داخل الساحة السياسية ، وإنما هى بالخدمات التى تقدمها تلك الأحزاب لكل المجتمع دون تفرقة .

وتحت أيدينا أمثلة عديدة لهذا النوع من الديمقراطيات العريقة فى مجتمعات عديدة ، ربما تكون متنوعة ومتفوقة ـ بحكم البيئة فى المجتمعات الأوربية ـ على غيرها من مجتمعات آسيا أو إفريقيا مثلاً ، ولكن مثل هذه الديمقراطيات العريقة بدأت تدق أبواب العديد من المجتمعات بعنف من أجل الانتقال إليها ، بشرط ابتعاد العسكريين عن طريق هذه الممارسات الديمقراطية وعودتهم فوراً إلى ثكناتهم العسكرية .

والعامل الثانى الذى يرتبط بالشرعية السياسية يكمن فى الشخصية التى تؤهل نفسها لتحمل مسئولية العمل السياسى، وتحاول أن تصل بجهدها الشخصى إلى منصب الزعامة بعد التدرج الطبيعى فى المناصب السياسية الحزبية ؛ إذ من غير المعقول أننا نجد بين يوم وليلة شخصاً ما ، رجلاً كان أو امرأة ، قد رفعه شعبه فجأة فوق الأعناق وهتفوا باسمه ، وقدموه لنا على أنه الزعيم السياسى المنتظر ! بل لابد أن يكون طريق هذا الشخص نحو الزعامة مفروشاً بالجهاد منذ نعومة أظفاره ، أى منذ أن يقرر الدخول إلى الملعب السياسى .

إن طريق الزعامة السياسية ـ خاصة بالنسبة للمرأة التى هى حديث هذه الدراسة ـ لابد أن يبدأ من بداية نزولها إلى المعترك السياسى ، وتتدرج فيه من القاع إلى القمة ، حسبما تقدمه من خدمات جماهيرية ، ويكون ذلك سلاحها نحو إقناع الرجل بأنها تصلح أن تكون خليفته فى تولى الزعامة السياسية . ولا يهمها فى ذلك أن تفشل مرة ، فبقدر فشلها تستطيع أن تشق طريقها بإصرار أكثر نحو القمة ، مادامت مقتنعة بدورها داخل الملعب السياسى ، ويكون سبيلها إلى ذلك الفكر والعزم والصبر وقوة الإرادة ، بعيداً عن شبح سطوة الرجل ، ومن خلال أفكارها السياسية التى تدعو إليها سواء كانت معبرة عن نفسها أو عن الحزب الذى تنتمى إليه .

إننا نرى أنه لابد للمرأة أن تبدأ زحفها من الآن ، ويكون طريقها من القاعدة ، تعيش مع الجماهير ، تفكر لهم ، وتستمد منهم القوة ، وفى الوقت نفسه تتعرف على ظروفهم ، وتبدأ فى العمل من أجل المصلحة العامة مادامت تنوى أن تكون زعيمة سياسية ، وتحاول أن تسطر لنفسها يوماً بعد يوم أى نوع من أنواع النجاح الذى يقربها من الناس ، إن طريقها الوحيد إلى ذلك هو العمل الجاد المفيد لصالح أكبر جمع من الناس ، وكلما قدمت أكثر تقدمت أكثر .

إن المرأة السياسية إذا ما سلكت هذا الطريق الوحيد نحو الشرعية السياسية فإنها حتماً ستصل ، وستنجح فى الزعامة ، ويكون مقياسها فى هذا النجاح متمثلاً فى حب الناس وتمسكهم بها وتفضيلهم إياها على غيرها ، سواء من الرجل أو المرأة ،

ويكون ميدان هذا التفضيل الانتخابات العامة ؛ إذ يسارع الناس لترجمة هذا الحب، ويحولونه إلى علامات خضراء أو حمراء ، بما يفيد موافقتهم على اختيار هذه المرشحة دون غيرها من الرجال أو النساء .

●●●

ولو تتبعنا مسيرة المرأة فى كل بلاد العالم النامى والمتقدم ، فسنجد أن هناك نماذج نسائية أحرزت تقدماً كبيراً فى ميدان الزعامة السياسية ، بصرف النظر عن توافر أى شرط من شروط سيادة الشرعية السياسية .

ففى دول الشمال أو العالم المتقدم سنجد « مسز تاتشر » رئيس وزراء بريطانيا السابقة ، و « برونتلاند » رئيس وزراء النرويج ، و « إديث كريسون » رئيس وزراء فرنسا الجديدة ، و « كازيميرا برونسكن » رئيس وزراء لتوانيا . . ثم كل من « أنديرا غاندى » وتانسو تشيلر رئيس وزراء تركيا وقد تمكنتا بحرفية السياسى فى رأينا أن تحشرا نفسيهما فى زمرة هؤلاء النسوة اللائى يمثلن البلاد ذات الحضارة الديمقراطية العريقة ، برغم أن البلاد التى تنتمى إليها « أنديرا غاندى » تعتبر حسب التقسيم الحضارى من العالم الثالث وإحدى الدول النامية ، وقد وضعناها هنا لأسباب كثيرة سوف نتعرف على بعضها من خلال هذا الفصل .

كما ظهرت فى الدول النامية ـ أو دول العالم الثالث ـ زعامات سياسية نسائية عديدة ومتنوعة جديرة بالاحترام ، مثل « مسز بندرانيكة » رئيس وزراء سيريلانكا ، و «بنظير بوتو » رئيس وزراء باكستان السابقة ، و « كورازون أكينو » رئيس الفلبين ، و« إيزابيلا بيرون » رئيس الأرجنتين السابقة ، و « فيولا دى تشامورو » رئيس نيكاراجوا . ومن بعدهن تأتى الشيخة «حسينة مجيب» والبيجوم «خالدة ضياء الرحمن » فى بنجلاديش .

والمتتبع لحديثنا عبر هذه الدراسة يجد أننا فى الفصل السابق قد خصصنا بالحديث المفصل أغلبية النساء الزعيمات المنتميات إلى معسكر العالم الثالث ، وأوضحنا الطريق الذى سلكته المرأة الزعيمة فى هذا العالم من أجل الوصول إلى مقعد الرئاسة ، الذى هو قمة الزعامة السياسية ، ورأينا كم كانت الشرعية السياسية سائدة

فى أغلب تلك البلدان ، ولكن بشقها الثانى فقط الذى تمثل جليًّا فيما تتمتع به الشخصية السياسية التى تقدمت على درب الزعامة ، دون أن يكون لها ذلك التدرج المناسب فى خطواتها السياسية داخل الملعب السياسى بالمفهوم العام المتعارف عليه داخل المجتمعات التى تتمتع بالممارسات الديمقراطية فى التطبيق والممارسة .

●●●

وحين نصل عبر هذا الفصل إلى حديث الشرعية السياسية بشقيها الأول والثانى ، يجب علينا البحث عن نماذج نسائية تمثل هذه الشرعية السياسية بالمفهوم العام والحديث ، حتى يكون لهذه الدراسة القيمة المرجوة .

وبعد بحث طويل داخل أروقة عالم السياسة والتفتيش المركز عن تلك المرأة التى مارست الزعامة السياسية وفقاً لمعايير هذه الشرعية توقفنا طويلاً أمام ثلاثة نماذج وجدنا فى صفاتهم وظروف مجتمعهم خير مثال لسيادة تلك الشرعية الديمقراطية . وقد يتعجب البعض من اختيارنا لأنديرا غاندى كى تصاحب مسز تاتشر خلال رحلة الشرعية السياسية عبر هذا الفصل ، نظراً لا ختلاف البيئة والظروف ، ولكن هذا الاختيار فى رأينا يرجع إلى وجود العديدد من أوجه الشبه بين الزعيمتين السياسيتين ، ولا يفرقهما فى هذا الشبه سوى التقسيم الحضارى ، الذى جعل دولة الهند فى مصاف دول العالم الثالث ، فى حين حسبوا بريطانيا فى مصاف الدول المتقدمة .

إننا سوف نقصر حديثنا المتبقى خلال هذه الدراسة على مفهوم الزعامة السياسية من منطلق الشرعية السياسية أو الدستورية أو الديمقراطية ، أو أية تسمية أخرى ، المهم ما نقصده هو أن ينبع إحساس الزعامة وحاجة المجتمع لقيادة المرأة من المجتمع نفسه وتصنعه الجماهير من خلال هذا الاحتياج ، هذا إلى جانب أن تكون تلك المرأة على استعداد بداخلها لتقبل هذه الزعامة وفقاً لإمكاناتها الشخصية التى تساعدها على التقدم بخُطاً ثابتة ووفقاً لما تتطلبه هذه الزعامة ، وبحيث لا يكون دورها وليد المصادفة ، أو مجرد اختيار قبلى أو تعصبى .

●●●

وقبل أن نفرد الحديث خاصة ، عن كلٍّ من هاتين الزعيمتين أنديرا وتاتشر . . نحاول أن نجمع بينهما فى بعض أوجه الشبه ، كى نؤكد ما وصلنا إليه من وجود علاقة مشتركة بين المرأتين فى بعض الصفات وإن تباعدت الأزمنة والأمكنة ، وسيكون دليلنا إلى إجراء هذه المقابلة الاستعانة بالتواريخ الرسمية المؤكدة التى لا تكذب أبداً .

ومن المفارقات الغريبة فى هذه المقابلة بين الزعيمتين أن زعيمة الهند الراحلة السيدة « أنديرا غاندى » . . قد تزعمت بلداً كان إحدى معسكرات بريطانيا العظمى ، ذلك البلد الذى تولت زعامته امرأة أيضاً ، هى مسز تاتشر !! .

وفى الوقت الذى ولدت فيه زعيمة الهند عام ١٩١٧ . . و لدت مسز تاتشر بعدها بتسع سنوات ، أى عام ١٩٢٦ !! وفى الوقت الذى كانت فيه الطفلة أنديرا غاندى ترافق والدها نهرو فى إحدى رحلاته إلى أوربا ، وهناك فى جنيف بسويسرا دخلت «أنديرا » المدرسة ، ثم من بعدها زارت ألمانيا وفرنسا وبلجيكا وانجلترا فى العام نفسه .

أما عن مصادر وأماكن تلقى تعليم الفتاتين الزعيمتين ، فنجد أنها مصادر واحدة تقريباً برغم اختلاف المكان والبيئة والتقسيم الجغرافى والحضارى . بمعنى أنه برغم أن « أنديرا غاندى » كانت فتاة من الهند فإنها فضلت أن تكمل تعليمها العالى بجامعة أكسفورد بانجلترا ، عام ١٩٣٨ وهى الجامعة التى حصلت منها تاتشر أيضاً على بكالوريوس الكيمياء ، ثم ليسانس الحقوق عام ١٩٥٤ . أما من حيث مكان الميلاد . . فإن أنديرا غاندى من مواليد الهند ، مدينة الله آباد ، فى حين نجد أن تاتشر من مواليد مدينة لندن . . والمسافة بين المدينتين عظيمة جدًّا ، ولكن العلم قد قرب بينهما .

وإذا كانت مسز تاتشر قد بدأت حياتها السياسية وهى فى الرابعة والعشرين من عمرها ، حين فشلت فى أول محاولة لها فى دخول مجلس العموم البريطانى ، ولم تتمكن من دخوله إلا فى عام ١٩٥٩ ممثلة عن دائرة « إلنش » بلندن . فإن « أنديرا غاندى » قد بدأت حياتها السياسية ، وهى مازالت فى الرابعة من عمرها !! كما تقول عن

نفسها : « لقد انتابنى الذعر وأنا ذات الأعوام الأربعة ، حين شاهدت الشرطة غلاظ القلوب وهم يحملون الأثاث الثمين والسجاجيد الفاخرة فى سيارات كبيرة ، أحضروها لهذا الغرض » ويواصل ظفر الإسلام خان بقية الحكاية بقوله : « ... واحتجت الصغيرة على سلوك رجال الشرطة وصاحت فيهم غاضبة ، وهزت قبضة يدها فى وجوههم المشئومة ... » كانت تلك هى البداية المحزنة لأنديرا غاندى فى عالم السياسة ، فمنذ تلك اللحظة ودعت سذاجة الطفولة البريئة الخالية من الهموم كى تنغمس فى خضم المعارك والمشكلات ، هذه الأحداث تتذكرها جيداً فى أثناء الاحتلال الإنجليزى لبلادها[1] .

ومن بعدها واصلت الكفاح بجانب والدها من أجل الاستقلال داخل الهند وخارجها ، إلى أن انْتُخِبَتْ عضواً تنفيذيًّا بحزب المؤتمر عام ١٩٥٥ ، وكان عمرها وقت ذاك ثمانية وثلاثين عاماً .

وسبق هذا الانتخاب السماح لها بالحضور والاشتراك لأول مرة فى إحدى جلسات حزب المؤتمر عام ١٩٤٢ ، الذى وافق فيه المجتمعون على قرار «اتركوا الهند» .

أما السيدة « تاتشر » فقد واصلت كفاحها السياسى وفقاً لمعايير الشرعية السياسية . . فبعد نجاحها فى محاولتها دخول مجلس العموم البريطانى اختيرت عام ١٩٧٠ وزيرا للتعليم والعلوم فى وزارة حزب المحافظين الذى نجح فى الانتخابات العامة آنذاك .

أمَّا عن « أنديرا غاندى » فقد انتُخِبت عضواً باللجنة البرلمانية المركزية للحزب ، فى مكان والدها جواهر لال نهرو . وفى عام ١٩٥٩ انتُخبت زعيمة لحزب المؤتمر على مستوى الهند . . وفى عام ١٩٦٤ اختيرت وزيرا للإذاعة والاستعلامات فى وزارة شاسترى الزعيم الهندى الذى خلف جواهر لال نهرو بعد رحيله ، ثم فى عام ١٩٦٦ انتُخبت « أنديرا غاندى » رئيسا لحزب المؤتمر داخل البرلمان الهندى . . وبذلك أصبحت رئيسا لوزراء الهند .

---

(١) أنديرا غاندى ـ سيدة سياسية ظفر الإسلام ـ ترجمة محمد حلمى مراد .

وإذا عدنا إلى السيدة « تاتشر » نجدها قد واصلت هى الأخرى طريقها نحو الزعامة السياسية ، حيث حققت فى عام ١٩٧٤ إنجازاً سياسيًّا لم تحرزه سيدة بريطانية من قبل ، حيث تم انتخابها أول زعيمة لحزب المحافظين بدلاً من « إدوارد هيث» رئيس الوزراء البريطانى فى الانتخابات البرلمانية . وفى عام ١٩٧٩ أصبحت السيدة «تاتشر » أول رئيس وزراء لبريطانيا ، وأول زعيمة سياسية فى أوربا بأسرها .

وإذا كانت السيدة « تاتشر » قد استمرت فى حكم بريطانيا عشر سنوات ؛ إذ نجحت ثلاث مرات متوالية فى الانتخابات العامة ورئيس لحزب المحافظين ، ورئيس لوزراء بريطانيا ، وكانت فى طريقها لإحراز النجاح الرابع فى تولى رئاسة الوزراء ، لولا أنها بادرت بتقديم استقالتها . . فإنّ « أنديرا غاندى » قد استمرت زعيمة سياسية لحزب المؤتمر ورئيسا لوزراء الهند أكثر من تسعة عشر عاماً ، صحيح أن هذه الفترة الطويلة فى تولى زعامة الهند لم تكن متواصلة مثلما حدث مع السيدة « تاتشر » . ولكنها استطاعت أن تستمر فى رئاسة الحكومة الهندية فى فترة انتخابها الأولى قرابة خمسة عشر عاماً ؛ إذ امتدت من عام ١٩٦٦ حتى عام ١٩٧٧ ، وبرغم ابتعادها مؤقتاً بعد هذه الفترة عن الزعامة السياسية ، فإنها - بعد كفاح سياسى مرير - استطاعت العودة إلى رئاسة وزارة الهند من جديد ؛ إذ تمكنت عام ١٩٨٠ من الفوز فى الانتخابات العامة، ولكن القدر لم يمهلها كى تكمل مسيرة النجاح السياسى ، حيث اغتالها اثنان من حراسها السيخ فى أكتوبر عام ١٩٨٤ .

■■ الإمبراطورة ..

والوردة الحمراء

لقد آثرنا أن نبدأ الحديث عن السيدة « أنديرا غاندى » رئيس وزراء الهند الراحلة . وكان دافعنا إلى ذلك حيث تكبر أنديرا غاندى « مسز تاتشر » بتسع سنوات ، هذا بالإضافة إلى الأقدمية المطلقة التى تنفرد بها أنديرا فى العمل السياسى .

ففى ١٩ من يناير عام ١٩٦٦ بدأ نواب حزب المؤتمر فى البرلمان يحضرون إلى القاعة المركزية للبرلمان ، وفى صباح ذلك اليوم نفسه ، انطلقت « أنديرا غاندى » مبكرة

تقود سيارتها بنفسها وابتسامة عذبة ترتسم على شفتيها الحمراوين ، وكانت ترتدى سارياً أبيض اللون ، ووشاحاً بُنِّيًا من كشمير ، زينته بوردة حمراء .

حضر جميع أعضاء حزب المؤتمر قبل الساعة الثانية عشرة ، ثم بدأت الانتخابات الطويلة ، وكان اسم كل عضو من الأعضاء البالغ عددهم ٥٥٢ عضواً يُنَادَى حسب حروف الهجاء . وكانت هذه أول انتخابات وزارية تتم بعدم الإجماع فى تاريخ حزب المؤتمر ، حيث دخل الحزب عهداً جديداً من الديمقراطية ، وكان جو من الانتظار والحيرة والمفاجأة يسود هذه القاعة الكبيرة ، وفى هذا الجو من المفاجأة تقدم نائب من « مها راشترا » وهو يجرى بأقدامه الكبيرة نحو « أنديرا غاندى » وبشرها بصوت مرتفع ، فعرف الجميع أنها قد فازت [٢] . وبعد دقائق أعلنت النتيجة ، فقد فازت « أنديرا غاندى » بـ ٣٥٥ صوتاً مقابل ١٦٩ صوتاً فاز بها منافسها « موراجى ديساى » . وبذلك غدت أول وأصغر رئيس لوزارة هندية اتحادية ، كما كان انتخاب «أنديرا غاندى » أكبر انتصار ديمقراطى فى العالم ، وكان مفاجأة كبرى فى الدوائر السياسية العالمية .

●●●

هذه كانت نهاية المشوار ، حيث الوصول إلى قمة السلطة داخل الملعب السياسى ، وكلنا يعرف أن الوصول إلى هذه المكانة سهل جدًّا ، بالقياس إلى الطريق الذى يسلكه الزعيم من أجل نيل هذا الشرف ، فكله أشواك وعقبات ودموع ، ويتطلب من صاحب الرغبة فى الميدان السياسى أن يكافح ويستمر فى كفاحه من القاعدة حتى يصل إلى القمة التى يرى الكثير من المراقبين أن الاحتفاظ بها أصعب من الوصول إليها .

واستعراضاً للمشوار الطويل الذى قطعته هذه الفتاة الهندية المتألقة أنديرا جواهر لال نهرو ، نرى أنه لابد أن يبدأ من المولد . . حتى نعرف أين كانت وكيف أصبحت؟!! .

---

(٢) المصدر السابق .

يقول صوت التاريخ : إن أنديرا غاندى تنتمى إلى أسرة نهرو التى تُعَدُّ أكبر وأعظم أسرة هندية ظلت تكافح وتناضل من أجل حرية الهند منذ أكثر من مائة عام من الزمان.

ولدت « أنديرا» فى ١٩ من نوفمبر عام ١٩١٧ بمدينة الله آباد وبدأت كفاحها السياسى من بداية السلم ، حيث كانت تعيش داخل أسرة كافحت طويلاً من أجل استقلال بلادها ، فأبوها جواهر لال نهرو أول رئيس وزراء فى تاريخ الهند الحديث وصل إلى منصبه السياسى عن طريق الانتخاب بعد استقلال الهند فى عام ١٩٤٧ ، وأُمها السيدة « كمالا » المنضالة السياسية بجوار زوجها نهرو .

دخلت « أنديرا » روضة الأطفال بمدينة « دلهى » وهى فى الخامسة من عمرها ، ثم انتقلت منها إلى مدرسة داخلية أخرى ، ولما بلغت السادسة من عمرها التحقت بمدرسة « القديسة سيسليا » فى مدينة الله آباد . . وفى بداية عام ١٩٢٦ بدأت أولى رحلاتها خارج الهند مصاحبة لأُمها فى رحلة علاجها الطويل ، وكانت يومئذ تبلغ من العمر عشر سنوات ، وقد استفادت « أنديرا » من هذه الرحلة التى استمرت قرابة سنتين تقريباً خبرة طيبة ؛ إذ استطاعت أن ترى عن قرب عدداً كبيراً من مشاهير القرن العشرين ، وحين عادت إلى الهند من جديد حرصت على مقابلة « المهاتما غاندى » . . حيث ظلت لصيقة الصلة به حتى يوم وفاته .

أمضت « أنديرا » فترة من الوقت بعد رجوعها من أوربا فى مدرسة داخلية تابعة لجامعة بومباى فى مدينة « بونا » . وحصلت منها على شهادة الثانوية العامة فى عام ١٩٣٤ ، وبعد حصولها على هذه الشهادة التحقت بجامعة طاغور فى إقليم البنغال ، ثم رحلت إلى بريطانيا حيث التحقت بجامعة أكسفورد عام ١٩٣٦ ، واستمرت بها حتى عام ١٩٣٩ حتى نشوب الحرب العالمية الثانية ، عندئذ رجعت من جديد إلى الهند مع رفيق طفولتها وزوجها فيما بعد « فيروز » . وبعد وصولها إلى الهند تحولت تلقائيًا إلى أداة ثورية فى جهاز حزب المؤتمر القومى فى كفاحه ضد الاستعمار الإنجليزى .

وفى مطلع عام ١٩٤١ أحبت الشابة الجميلة « أنديرا » شابًا هنديًا مجوسيًا ،

وتزوجته ، برغم الإشاعة التى انطلقت فى أجواء الهند آنذاك والتى تدعى أن والد «أنديرا» الأب نهرو لم يكن موافقا على هذا الزواج لأن الشاب «فيروز» فى الأصل لم يكن «هندوكيا» وإنما كان ينتمى إلى طائفة الفارسيين من المجوس عبدة النار ، الذين نزحوا إلى الهند بعد الفتح العربى لبلاد الفُرس فى القرن السابع الميلادى .

وتعتبر السنة التى تزوجت فيها « أنديرا غاندى » ، من الأعوام الهامة فى تاريخ الهند الجديد ؛ إذ اتخذ حزب المؤتمر القومى فى هذا العام ـ وبعد زواج أنديرا بشهور ـ قرار « اتركوا الهند » الذى كان يمثل قمة النجاح للعناصر الشابة الهندية الجديدة ، التى كان يتزعمها آنذاك « فيروز غاندى » زوج الفتاة « أنديرا » . . هذا القرار قد اتخذ بالإجماع مساء يوم ٨ من أغسطس عام ١٩٤٢ فى الدورة السنوية لحزب المؤتمر فى «بومباى » .

ثم جاء عام ١٩٤٧ الذى طالما حلم به كل هندى . . والذى من أجله أمضت «أنديرا غاندى » أكثر من ٤٠٠ يوم فى السجن الإنجليزى ، هذا العام قد نالت فيه الهند استقلالها عن بريطانيا ، وبعد إعلان الاستقلال انتُخب جواهر لال نهرو والد أنديرا أول رئيس لوزارة هندية مستقلة .

احتفلت كل الهند بهذا اليوم ، ولكن الفرحة لم تكتمل ، حيث جاء الاستقلال مصاحباً لتقسيم الهند إلى دولتين : إحداهما هندوسية تُسَمَّى الهند ، والثانية مسلمة أُطلق عليها دولة باكستان ، من أجل فض الاشتباك بين الطوائف داخل شبه القارة الهندية .

ومنذ اختيار « نهرو » رئيساً للوزراء بالهند ظلت « أنديرا » تتبع خُطاه كظله ، تعلمت منه أُصول السياسة والعمل العام . وفى عام ١٩٥٤ طلب رجال حزب المؤتمر من «أنديرا » أن تخوض انتخابات البرلمان المركزى ، إلا أنها رفضت ؛ لأن بداية كفاحها السياسى لم تحن بعد ، غير أنها فى عام ١٩٥٥ انتُخبت عضواً فى المجلس التنفيذى المركزى لحزب المؤتمر ، وكان ذلك إيذاناً رسميًّا بالاعتراف من جانب الحزب بخدماتها فى المجالات الاجتماعية .

ويرى بعض المراقبين السياسيين أن العام الذى انتخبت فيه « أنديرا » فى هذا المجلس التنفيذى لحزب المؤتمر هو بداية الاعتراف بأنديرا غاندى كشخصية سياسية مستقلة عن والدها .

وفى عام ١٩٥٩ تلقت « أنديرا غاندى » برقية تحمل إليها نبأ الإجماع على اختيارها رئيسا لحزب المؤتمر ، خليفة للمستر « دهيبار » . لقد كانت أول سيدة تتولى رئاسة الحزب بعد الاستقلال ، ولم يكن هذا هو أول منصب سياسى لها . . فقد انتخبت من قبل عضواً فى المجلس التنفيذى المركزى . . ثم عضواً فى « لجنة الانتخابات المركزية » ، كما تولت رئاسة الحزب فى مدينة الله آباد عام ١٩٥٦ ، وفى عام ١٩٥٨ أصبحت عضواً فى « اللجنة المركزية البرلمانية » . واستطاعت « أنديرا نهرو » خلال عام واحد من وجودها داخل الحزب أن تجمع شمل الحزب الذى كان قد تفتت إلى بقايا وجماعات . كما كان لوجودها أثر إيجابى وهام فى رفع الروح المعنوية للمرأة الهندية فى نهضتها .

●●●

ورحل جواهر لال نهرو . . ذلك الرحيل الذى كان أكبر ضربة للإبنة « أنديرا » . . وبعد رحيله تولى رئاسة الوزارء الهندية « بهادور شاسترى » الذى عرض عليها تولى منصب وزير الخارجية فى حكومته ، ولكنها رفضت ، وأصرت على موقفها ؛ لأنها لا تريد دخول الحكم فى الوقت الحاضر . . وتحت إلحاح أعضاء حزب المؤتمر قبلت على مضض منصب وزير الإعلام الذى تولت مسئوليته عام ١٩٦٤ .

وخارج نطاق العمل الوزارى المحلى برعت السيدة « أنديرا غاندى » فى ميدان السياسة الدولية ، حيث مثلت بلادها فى العديد من المؤتمرات الدولية ، مثل مؤتمر رؤساء الكومنولث فى لندن ، . ثم طارت إلى موسكو ، ثم إلى الولايات المتحدة فى يناير عام ١٩٦٥ لا فتتاح معرض نهرو التذكارى .

وحين توفى « شاسترى » . . رئيس وزراء الهند الذى خلف نهرو ، لم يجد الشعب

الهندى أمامه سوى السيدة « أنديرا غاندى » وذلك للحفاظ على مكاسب نهرو التى تمثلت فى الديمقراطية السياسية التى عمت الهند فى فترة حكم خلفه شاسترى .

لقد صدرت الصحف الهندية جميعها فى ٢٥ من يناير عام ١٩٦٦ تحمل صورة كبيرة للزعيمة السياسية الجديدة « أنديرا غاندى » وهى تؤدى اليمين الدستورية أمام رئيس الجمهورية ، كأول رئيس للوزارة فى الهند لمدة خمسة عشر عاماً ، واستمرت حتى عام ١٩٧٧ .

وبعد انتهاء فترة حكمها الأول فشلت فى مواصلة طريق الزعامة السياسية ، حيث هُزِمَت فى دائرتها الانتخابية وفاز عليها منافسها فى الدائرة « راج ناريوت » الذى حصل على ٥٥ ألف صوت .

وبدءاً من عام ١٩٧٧ شهد حزب المؤتمر الهزائم المتتالية على مستوى كل الدوائر، وفى داخل البرلمان أيضاً ، وبعد فوز حزب المعارضة « جاناتا » طالب زعيمه بتنحية حزب المؤتمر وإسقاط « أنديرا غاندى » . ولقد اضطرت « أنديرا غاندى » أمام هذا الموقف وبعد فقدها لمقعدها داخل البرلمان إلى تقديم استقالتها من رئاسة الحكومة الهندية . وقيل وقتها إن السبب الرئيسى وراء هذه الهزيمة هو تمسك « أنديرا غاندى » بقانون الطوارىء الذى أعلنته منذ سنوات بجانب استغلال ابنها لنفوذ والدته ، مما أثار ضدها الجماهير . ويرى بعض المراقبين أن السبب الرئيسى وراء هذه الهزيمة هو المعارضة الشديدة لقانون تنظيم الأسرة .

وقد آثرت السيدة « أنديرا غاندى » الابتعاد عن السياسة مؤقتاً ـ بعد هذا السقوط ـ لإعطاء نفسها فرصة لإعادة ترتيب أوراقها ، انتظاراً لفرصة جديدة تمكنها من العودة إلى الملعب السياسى .

وبالفعل نجحت فى ترتيب هذه الأوراق ، حيث لم تطل فترة ابتعادها عن الحياة السياسية ، فقد تمكنت من العودة بقوة بعد مرور سنة واحدة على هزيمتها فى الانتخابات كرئيس لوزراء الهند ، ، إذ نجحت فى استعادة مقعدها داخل البرلمان عام ١٩٧٨ بعد فوزها فى إحدى الدوائر الانتخابية بجنوب الهند .

وفى عام ١٩٨٠ فاز حزب المؤتمر بالأغلبية فى الانتخابات العامة ، وشكلت السيدة « أنديرا » الوزارة من جديد بعد غيبة ثلاث سنوات . واستمرت فى هذا المنصب حتى عام ١٩٨٤ حين اغتالها اثنان من حراسها السيخ ، وبذلك أُسدل الستار على قصة حياة الإمبراطورة الهندية « أنديرا غاندى » صاحبة الوردة الحمراء . . ومن بعدها واصل ابنها « راجيف غاندى » المسيرة السياسية ، حيث نجح فى تولى منصب رئاسة وزراء الهند ، ثم فشل من جديد ، وحينما أراد استعادة نفوذه السياسى داخل المجتمع الهندى انتهت حياته نهاية مأساوية ، إذ اغْتِيلَ فى أثناء قيامه بجولة انتخابية ، وحاول حزب المؤتمر ترشيح زوجته السيدة سونيا غاندى ، لكنها رفضت بشدة هذا الترشيح .

■■ بعد ثلاثة آلاف يوم ..

من حكم المرأة الحديدية

فى محاولة من جانبنا للبحث عن مدخل للحديث عن الزعيمة السياسية الثانية «مسز تاتشر » رئيس وزراء بريطانيا السابقة ، التى وصفها الأمريكان بأنها الرجل الوحيد فى مجلس وزراء بريطانيا ، ووصفها الرئيس الفرنسى ميتران بأن لها شفتى مارلين مونرو ـ الممثلة العالمية الشهيرة ـ وعينى السفاح كاليجولا ! . هذا المدخل الذى نشعر بأنه يوفى هذه المرأة ـ التى وصفها المراقبون بالمرأة الحديدية ـ حقها السياسى لم نجد له سوى كلمات صغيرة تحمل معانِىَ كثيرة . . هذه الكلمات تقول : الزمان : الخميس ٢٢ من نوفمبر عام ١٩٩٠ ـ المكان (١٠) داوننج ستريت بلندن ، حيث المقر الرسمى لرئاسة الحكومة البريطانية ، المئات من المكالمات الهاتفية وباقات الزهور تنهال على المرأة الحديدية ، مارجريت تاتشر قبل رحيلها من مكتب رئيس الوزراء . والسبب قرارها الشجاع بالاستقالة من زعامة حزب المحافظين الحاكم ورئاسة الحكومة ، هذه البرقيات سببها الإعراب عن الامتنان لها نظير ما قدمته لبلادها من خدمات طوال الخمسة عشر عاماً الماضية كزعيم للحزب ، وأحد عشر عاماً ونصف العام كرئيس لوزراء بريطانيا .

لقد انحنت مسز تاتشر البالغة من العمر ٦٥ عاماً للعاصفة ، وخفضت هامتها

السياسية العنيدة للثورة داخل حزبها ، واستجابت للضغوط من حولها ، التى كانت تطالبها بالاستقالة حفاظاً على وحدة الحزب الذى تدهورت شعبيته إلى حد بعيد أمام المعارضة المتمثلة فى حزب العمال .

وعندما استقالت « تاتشر » أسدلت بيدها الستار على فترة متميزة من التاريخ البريطانى فى القرن العشرين عرفت باسم « التاتشرية » . . انتهجت خلاله المرأة الحديدية سياسية داخلية وخارجية أثرت على حياة البريطانيين إلى حد بعيد فى كل المجالات ، على مدى أكثر من عقد من الزمان ، وربما لسنوات عديدة قادمة(٣) .

تلك كانت النهاية . . ولكن أليس لهذه النهاية من بداية تليق بهذه الشخصية السياسية التى كانت مثار تعليق العدو قبل الصديق ؟ ذلك ما سوف نعيش معه الآن ، والبداية التى ستكون حديثنا وقعت أحداثها على أرض بريطانيا التى كانت تُسمى فى يوم من الأيام الإمبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس . . تلك الأرض التى نبتت فوقها الديمقراطية التى نقلها أهلها عن أثينا ، المدينة اليونانية التى اخترعت حكم الشعب للشعب ، وطبقه المجتمع الإنجليزى خير تطبيق فى عصرنا الحديث ، بحيث أصبح السمة الحضارية التى باتت تتغنَّى بها بريطانيا وسط ربوع العالم ، واعتبرتها الطريق السليم نحو الحضارة السياسية التى قوامها الأحزاب السياسية والانتخاب الحر المباشر ، والاختيار الحر دون تمييز بسبب جنس أو لون أو دين .

هذا النوع من الديمقراطية العريقة يفسح المجال لكل من فى المجتمع كى يتقدم لخدمة الجماهير ، مادام يملك الإمكانات والمقومات الشخصية التى تؤهله لهذا الدور السياسى ، بشرط توافر التدرج ، الذى يعنى ضرورة أن يرتقى الإنسان السياسى داخل هذا المجتمع سلم هذه الخدمات من القاع الذى يبدأ من النزول إلى الشارع والعيش وسط الناس ، حتى الوصول إلى القمة التى يمثلها منصب الزعامة السياسية داخل الحزب ، أو على مستوى القيادة للمجتمع ككل .

هذه بالضبط كانت خطوات الزعيمة السياسية « مسز تاتشر » أو السيدة «ماجى»

---

(٣) من مقال لأحمد طه النقر ، بمجلة آخر ساعة ، بتاريخ ٢٨ / ١١ / ١٩٩٠ .

أو المرأة الحديدية ـ كما كان يحلو للروس أن يطلقوا عليها ـ ولا فرق فيمن يقوم بهذا الدور بين أمير أو غفير ، أو بين غنى أو فقير ! . . ولا يدخل الأصل أو النسب أو العصبية فى حساب هذه الزعامات ما دامت تسلك الطريق السليم وفقاً للشرعية السياسية بشقيها . وهذا أيضاً ينطبق على السيدة « مارجريت تاتشر » حيث يرجع نسبها إلى أسرة إنجليزية متوسطة الحال ؛ إذ كان والدها الذى يدعى « ألدرمان روبتس» يعمل بقالاً بأحد أحياء لندن .

●●●

ولدت الطفلة « ماجى » عام ١٩٢٦ من أب كان يملك محلاً للبقالة ، ثم أصبح فيما بعد عمدة لمدينة « جرانت هام » مسقط رأس العائلة . وأتمت « مارجريت تاتشر » دراستها الثانوية فى مدرسة البنات العليا بالمدينة ، ثم حصلت على بكالوريوس الكيمياء من جامعة أكسفورد ، وعملت باحثة كيميائية فى إحدى الشركات الصناعية ، ثم واصلت رحلتها الدراسية حتى بعد التحاقها بالعمل ، فحصلت على ليسانس الحقوق عام ١٩٥٤ . من ثم أصبحت محامية متخصصة فى قانون الضرائب .

تزوجت « مسز تاتشر » بعد تخرجها من الجامعة من رجل إنجليزى يدعى « دينيس تاتشر كان يعمل مديراً لإحدى شركات البترول بعدما ترك الخدمة فى الجيش البريطانى . ولم تكن مهنة والد تاتشر عائقاً أمام تقدمها داخل الملعب السياسى وداخل الحياة والمجتمع الإنجليزى ، وإنما كانت تردد دائماً ومازالت ـ حتى أثناء توليها منصب رئيس الوزراء ـ بأنها ابنة بقال . . وقد أكدت هذا المعنى ابنة « مسز تاتشر » الكبيرة التى عملت صحفية وتدعى « كارول » بقولها : « إن والدتى تفخر بأنها ابنة بقال ، ومازالت تعيش فوق دكانه ، حتى بعد نجاحها فى عالم السياسة . إنها تعتز دائماً بالمنزل الذى وُلدت به والذى يرجع طرازه إلى القرن السابع عشر الميلادى » .

وكان زواج « مسز تاتشر » من رجل الأعمال « دينيس » عام ١٩٥٠ أحد أسباب نجاحها فى الملعب السياسى ؛ إذ ساعدها انضباط زوجها ـ باعتباره أحد ضباط المدفعية فى الجيش الإنجليزى سابقاً ـ كثيراً ، وامتد تأثير هذا الزوج على أولاده ؛ إذ

نجحت الأسرة فى تخريج شباب نافع ، وهاهو ذا ابنها الصغير « مارك » يعمل محاسباً ، والإبنة « كارول » تعمل صحفية .

●●●

أما عن بداية دخولها الحياة السياسية . . فقد حرصت السيدة « مارجريت تاتشر » أن تبدأ هذه الحياة مبكرة ، وهى مازالت فتاة لم تتعد سن الرابعة والعشرين من عمرها ، بصرف النظر عن فشلها فى محاولاتها الأولى حين أقدمت على خطوة جريئة فى حياتها داخل الملعب السياسى ، عندما قررت دخول مجلس العموم البريطانى عن حزب المحافظين ، ولكنها فشلت فى الانتخابات العامة فى هذه المرة ، ولكنها فى عام ١٩٥٩ تمكنت من تتويج جهادها السياسى داخل المجتمع الإنجليزى ؛ إذ فازت فى الانتخابات العامة ، وحصلت على مقعد داخل مجلس العموم ممثلة لدائرة « إلنش» بلندن . ولم يكن هدفها داخل الملعب السياسى هو الفوز بمقعد فى هذه الانتخابات . . وإنماواصلت خدماتها الجماهيرية حتى داخل مجلس العموم ، وذلك حين تقدمت بمشروع قانون حول إعطاء الصحافة مزيداً من الحرية لتغطية اجتماعات الحكومة المحلية ، وقد وافق مجلس العموم على مشروعها هذا بالإجماع . . وفى عام ١٩٦١ اختيرت السكرتيرة البرلمانية لوزارة التأمينات ، ثم ما لبثت أن أصبحت وزيرا للتربية والتعليم فى حكومة المحافظين من عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٧٤ . . وفى هذه الفترة التى تولت فيها مسئولية وزارة التعليم واجهت الكثير من الهجوم الجماهيرى الذى تصدت له بشجاعة ، والذى كان بمثابة بداية حقيقية لتثبيت أقدامها داخل الملعب السياسى .

وقد آلت « مسز تاتشر » على نفسها وهى فى منصب وزير التعليم على النهوض بالتعليم الإنجليزى ، والتوسع فى المبانى المدرسية الحديثة ، وهدم كل المدارس الآيلة للسقوط ، وإحلال مدارس جديدة بدلاً منها . وقد استمرت فى تطبيق هذه السياسية بنجاح وحزم ، حتى جعلت الفترة التى تولت فيها هذه الوزارة من أفضل الفترات وأكثرها نهوضاً فى مجال التعليم بمختلف مراحله .

وفى عام ١٩٧٥ ، وهو عام الحسم السياسى بالنسبة لمارجريت تاتشر ، حققت إنجازاً سياسيًّا لم تحرزه امرأة إنجليزية من قبل ، حيث اختيرت بعد نجاحها فى الانتخابات أول زعيمة سياسية لحزب المحافظين من صنف النساء بدلاً من « إدوارد هيث » رئيس وزراء بريطانيا ، وزعيم حزب المحافظين السابق . وعندما نجحت «تاتشر » فى الفوز بهذا المنصب ، وصف المحللون السياسيون وصولها إلى هذه الزعامة بأنها وقفة تاريخية هامة ، فالشعب الإنجليزى يقبل أن تكون الملكة امرأة ، أما أن تحكم الشعب امرأة فى ثوب رئيس الوزراء فهذا شىء يختلف ، وأن تكون هذه المرأة على رأس الحزب المحافظ التقليدى فهو أغرب ! .

وحاول المحللون السياسيون داخل بريطانيا نفسها إرجاع هذا النجاح إلى أخطاء وقع فيها الزعيم السابق لحزب المحافظين ، حيث كان يحرص على أن يمثل اليسار داخل الحزب ، فى حين حرصت «مارجريت تاتشر » على تمثيل وتجسيد الجناح اليمينى بوضوح داخل الحزب . أما حزب المحافظين الذى تكون فى القرن السابع عشر ، وأصبح فى انجلترا رمزاً لاستمرار التقاليد السياسية ، فلم يعارض أن تصبح على قمته امرأة جميلة وشابة فى التاسعة والأربعين، وهو أكبر دليل على أن كل شىء يسير إلى التطور ، وأن المجتمع فى حركة دائمة ودائبة .

ولم يكن حزب المحافظين هو وحده الذى يؤمن بنظرية التطور والتغيير ، بل إن المجتمع البريطانى كله بات يؤيد التغيير ويعشقه ، حيث اختار « مارجريت تاتشر » أول رئيس وزراء لبريطانيا وأوربا بأسرها ، حين فاز الحزب الذى ترأسه فى الانتخابات العامة عام ١٩٧٩ البرلمانية على حزب العمال المنافس الذى كان يرأسه « جيمس كالاهان » . وقد أعادت «مسز تاتشر » بهذا النجاح السياسى المبهر الحياة إلى حزب المحافظين بعد اختفائه عن الساحة السياسية البريطانية خمس سنوات كاملة قضاها فى صفوف المعارضة داخل مجلس العموم . وقد حصلت تاتشر فى هذه الانتخابات على ٢٠٠ ألف و ٩١٨ صوتاً فى دائراتها ، مقابل ١١٣ ألف وأربعين صوتاً لمرشح حزب العمال .

●●●

ويحلو للكثيرين منا ترديد قول : « من السهل الوصول إلى القمة ، ولكن من الصعب الاحتفاظ بها » . هذا القول ربما ينطبق على رحلة « مسز تاتشر » داخل عالم السياسة ،و ربما لا ينطبق ! والسبب هو أنها لم تصل إلى هذه القمة السياسية بسهولة ويسر ، بل شقت طريق كفاحها بالعرق والسهر فى ميدان خدمة الجماهير ، وحين وصلت إلى القمة السياسية ـ التى تمثلت فى زعامةحزب المحافظين وزعامة الشعب الإنجليزى من خلال تقلدها لمنصب رئاسة الوزراء ـ حافظت عليها بكل ما تملك من خبرة سياسية ، الأمر الذى أدى إلى نجاحها فى الانتخابات العامة ثلاث مرات متتالية . . وظلت على قمة الهرم السياسى داخل المجتمع الإنجليزى قرابة أحد عشر عاماً .

كما استطاعت « مارجريت تاتشر » أن تحتفظ بمنصبها السياسى كزعيمة سياسية على المستويين : الحزبى والجماهيرى مدة أحد عشر عاماً ، برغم أن سنها فى المرة الثالثة قد وصلت إلى سن الستين ، ومع ذلك لم يمنعها التقدم فى السن من المضى قدماً داخل الملعب السياسى بنفس القوة والنشاط والحماس الذى بدأت به حياتها السياسية . وكانت بذلك أول سيدة فى العالم تحتفظ بمقعد رئاسة الوزراء فى انتخابات حرة ثلاث مرات متتالية .

ولم يكن هذا الاستمرار المبدع فى مجال العمل السياسى بالنسبة لامرأة مثل« تاتشر » نابعاً من فراغ ، أو من استعرض فج لمفاتن أنثوية ، بل كان سببه العمل الجاد الذى تمثل فى تقديم العديد من الحلول المستعصية للعديد من المشاكل التى طالما عانى منها المجتمع الإنجليزى طوال فترات الحكم السابقة ، لقد نجحت « تاتشر » فى أن تحضر لنفسها مفهوماً ومصطلحاً جديداً فى القاموس السياسى عُرف باسم « التاتشرية » يجسد المبادىء العامة التى اعتنقتها هذه السيدة الأسطورة . وقد تمثلت هذه المبادىء بوضوح فى تشجيع المنافسة الاقتصادية وبناء نظام الاقتصاد الحر القائم على قانون العرض والطلب . كما أثبتت الأيام كذلك نجاح السيدة « تاتشر » فى الخروج ببلادها أيام الأزمات إلى بر السلامة وهذه حرب « فوكلاند » مع الأرجنتين التى انتصرت فيها القوات البريطانية ، وكان هذا الانتصار سبباً رئيسياً فى ارتفاع شعبيتها أكثر وأكثر

عام ١٩٨٣ ، الأمر الذى ساعد على فوز حزب المحافظين بأغلبية ساحقة فى الانتخابات العامة وحصل على ١٤٤ مقعداً من مجموع مقاعد البرلمان البريطانى .

ولم تتوقف طموحات « مارجريت تاتشر » السياسية عند حد إعادة انتخابها مرة أو مرتين أو ثلاثا . بل كانت دائماً تصرح بأنها تعتزم خوض الانتخابات العامة للمرة الرابعة عام ١٩٩٢ ، وأنها على ثقة من الفوز هذه المرة أيضاً كى تصبح رئيس لوزراء بريطانيا لرابع مرة على التوالى ، إلا أن القدر لم يحقق هذه الأمنية ؛ إذ تقدمت باستقالتها قبل إجراء الانتخابات العامة بسنتين

● ● ●

تلك هى حكاية المرأة الحديدية والزعيمة السياسية « ماجى » ، التى فضلت تقديم استقالتها فى عام ١٩٩٠ على أن تقبل أنصاف الحلول ، فلم ترضَ أن تكون رئيس وزراء إحدى الدول الكبرى لمجرد فوزها غير الساحق فى انتخابات زعامة حزب المحافظين ، إذ حصلت على مجموع ٢٠٤ أصوات مقابل ١٥٢ صوتاً حصل عليها خصمها داخل الحزب « مايكل هيسلتاين » من مجموع الأصوات التى تمثل حزب المحافظين ، داخل مجلس العموم ، والبالغ عددها ٣٧٢ عضواً .

لقد فشلت « تاتشر » لأول مرة منذ توليها زعامة حزب المحافظين فى عام ١٩٧٥ فى الحصول على الأغلبية اللازمة للفوز برئاسة الحزب من الجولة الأولى ، وكان لابد من إجراء جولة أخرى للاقتراع على زعامة الحزب ؛ لأن مجموع ما حصلت عليه « مسز تاتشر » كان يقل أربعة أصوات عن الأصوات التى تضمن لها هزيمة منافسها من أول مرة ، وحرصاً من السيدة الزعيمة على مصلحة الحياة الحزبية والسياسية البريطانية ، فقد استجابت لنصيحة بعض زملائها داخل مجلس الوزراء بالاستقالة حفاظاً على وحدة حزب المحافظين الذى تدهورت شعبيته داخل المجتمع ، وكان أول من نصحها بهذا الموقف زوجها مستر « دينيس تاتشر » الذى أقنعها بأن الاستقالة فى مثل هذه الحالات أفضل من الهزيمة المحتملة أمام « مايكل هيسلتاين » وزير الدفاع السابق فى جولتها الثانية من انتخابات زعامة الحزب .

وبرغم تأكيدات « تاتشر » باستمرارها داخل الحياة السياسية ـ برغم هذه الضغوط ، خاصة فى منصب رئيس الوزراء ـ فإنها فاجأت العالم كله والشعب البريطانى بإعلان استقالتها فى الثانى والعشرين من نوفمبر عام ١٩٩٠ . وبذلك أنهت ما أسماه المراقبون السياسيون بأُسطورة المرأة الحديدية التى حكمت بريطانيا أكثر من ثلاثة آلاف يوم ، أى ما يعادل أحد عشر عاماً متواصلة ، نجحت خلالها فى قيادة حزب المحافظين على المستويين : الشعبى والدولى ، واستطاعت من خلال هذا النجاح أن تقنع الناخب الإنجليزى بقوتها السياسية ، الأمر الذى جعلها تستمر رئيس وزراء بعد نجاحها الباهر فى ثلاثة انتخابات حرة أُجريت فى أعوام ١٩٧٩ و ١٩٨٣ و ١٩٨٧ ويقول الأستاذ أنيس منصور معُلقاً على هذه الاستقالة : . . يوم أن قدمت «مارجريت تاتشر » استقالتها إلى ملكة بريطانيا دقت الكنائس أجراسها معلنة نهاية مرحلة فى التاريخ البريطانى ، وأعلن مطرب الخنافس « ماركارتنى » أن أغنياته الجديدة سوف تكون هجوماً على « تاتشر » لأنها فشلت فى حل مشاكل العاطلين الذين لم يجدوا مسكناً ، كما أنها أغلقت مئات المستشفيات ، وقال إن والدته ممرضة ، وأن التمريض فى بريطانيا مفخرة لكل إنجليزى ، وأنه أى ـ المطرب ـ حين ذهب إلى أمريكا ورأى هناك المستشفيات الأمريكية أحس بالفخر ؛ لأن بريطانيا أفضل . لقد قالوا عن هذا الموقف آنذاك إنه استغلال حقير دنىء لموقف سياسى خطير وإنسانى نبيل .

وهل بعد هذه الرحلة الطويلة من الكفاح السياسى ، اختفت « تاتشر » من الساحة السياسية وآثرت السكون والهدوء والعيش فى الظل انتظاراً للنهاية التى يمثل قمتها الموت ؟ ! .

إنه بلا شك سؤال صعب ؛ لأن الإجابة عنه قد لا تكون مرضية لا للسيدة مارجريت تاتشر نفسها ، ولا للإنسان المتتبع لجهادها داخل ميدان الحياة السياسية .

وكم أصابتنا السعادة حين عثرنا على بعض ملامح الإجابة عن هذا السؤال لدى الكاتب الصحفى الراحل مصطفى أمين فى عموده اليومى « فكرة » بعد مرور ثلاثة أشهر على تقديم« مارجريت تاتشر » استقالتها ، بتاريخ ٣٠/ ٣/ ١٩٩١ . يقول «مصطفى أمين » : خروج السياسى العظيم من منصبه الكبير أشبه بخروج الإنسان

من الحياة ، تشيع جنازته فى احتفال كبير ، وما يكاد يوضع فى القبر حتى ينساه العالم ، ولكن«مسز تاتشر » لا تريد أن يحدث لها ما يحدث لباقى البشر ، إنها تريد أن تبقى على قيد الحياة داخل قبرها . وقد تصور المحافظون فى انجلترا أنهم دفنوها عندما أخرجوها من رئاسة الحزب ، ولكنها فى كل يوم تدق بشدة على جدران قبرها حتى يعرف أنها مازالت على قيد الحياة ، فمرة يرشحونها سكرتيراً للأمم المتحدة ، ومرة تحصل على أكبر وسام فى أمريكا ، وقد كانت الوزارة البريطانية عرضت عليها أن تستقيل من مجلس العموم كى تحصل على لقب « مركيزة » ولكنها رفضت وأصرت أن تبقى فى مجلس العموم كى تكون « تاتشر » فقط .

وقالت « تاتشر » : إنها عندما تركب سيارتها تخطىء دائماً وتتجه إلى دوننج ستريت ، مركز الحكم فى انجلترا ، وعندما تقترب من المكان تتذكر أنها لم تعد رئيس وزراء انجلترا فتغير الاتجاه .

وتتقاضى « مسز تاتشر » الآن معاشاً قدرة ١٧٥٣١ جنيهاً استرلينيا فى السنة وتقول إن هذا المعاش لا يكفيها ، مع أن زوجها مليونير ؛ ولهذا فهى تفكر فى أن تكتب مذكراتها ، وسوف تبيعها بطبيعة الحال بملايين الدولارات ، وينتظر أن تحدث هذه المذكرات ضجة ، خاصة أنها حضرت كثيراً من الأحداث العالمية ، حكمت بريطانيا أحد عشر عاماً ، وضربت الرقم القياسى الذى سجله « ونستون تشرشل » فى رئاسة الوزارة .

وقد عُرض عليها أن ترأس بعض الجمعيات النسائية فرفضت وقالت : أنا لست امرأة فحسب ، بل إننى امرأة ورجل سياسى ، امرأة فقط فى البيت . وقد كانت فخورة أنها كانت ـ وهى رئيس وزراء ـ تعد إفطار زوجها كل يوم قبل أن تذهب إلى مكتبها !

والغريب أن « مسز تاتشر » بدأت تطمع فى رئاسة الوزارة من جديد ، وتعتقد أن وزراءها خدعوها عندما قالوا لها إنها ستسقط فى أى انتخابات قادمة ، وهى تعتقد الآن أنها لو لم تخضع لرأى وزرائها وقامت حرب الخليج فقد كانت سوف تسترد

شعبيتها، فقد داخل « ميجور » رئاسة الوزارة ولا شعبية له ، ولكن انتصارات الجيش الإنجليزى فى حرب الخليج جعلته شخصية محبوبة جدًّا من الشعب .

كرسى الوزارة له جاذبية غريبة ، ما تكاد تجلس عليه حتى تتوهم أنك ستبقى جالساً فوقه إلى الأبد ، وأنك الوحيد الذى يصلح لرئاسة الوزارة . وقليل من الرؤساء فرحوا بخروجهم من الحكم وفضلوا الراحة على ضوضاء الحكم وعدسات المصورين . هكذا قال مصطفى أمين ، وكأنما كان يرقرأ الغيب ، فما كادت تمر الأيام حتى تناقلت وكالات الأنباء آخر أخبار « مارجريت تاتشر » وهى خارج كرسى الوزارة ، وظلت عدسات المصورين تلاحقها حتى وهى تعيش فى الظل ؛ إذ أجرت العديد من الأحاديث الصحفية فى أثناء زيارتها للولايات المتحدة ، واستطاعت من خلالها أن تأسر بحضورها كل من شاهدها أو التقى بها . . لقد كانت تتحدث وكأنها ما زالت رئيسا لوزراء بريطانيا .

■■ سيدة تركيا الأولى .. مشوار سياسى قصير لكنه مؤثر :

رغم أن العمل السياسى لايعترف فى أية مرحلة من مراحله بالحظ . . وكذلك لا يميل لألاعيب الفهلوة ، لأنه يقوم فى الأساس على الدراسة والموهبة وحسن الأداء والذكاء أيضا . . إلا أننا سمحنا لأنفسنا بالحديث هذه المرة عن الحظ فى مجال العمل السياسى . . لأنه وقف بقدر كبير إلى جانب مشوار حياة سيدة اقتحمت الملعب السياسى ونجحت فيه رغم قصر المدة التى قضتها فى هذا الملعب نجمة متألقة داخلياً وخارجيا .

والحديث المفصل عن رحلة حياة السيدة «تانسو تشيلر» السياسية التركية الجميلة والتى تولت منصب أول رئيس وزراء فى تاريخ تركيا الحديث أو الوسيط أو القديم ، يبين لنا كيف لعب الحظ دوره بذكاء فى هذا المشوار الذى لم يتعد سوى ٧ سنوات! .

والجديد فى حياة هذه السياسية المتألقة أنها لم تكتف بطموحاتها التى بدأت كعضو

فى البرلمان ثم نائبا لحزبها . . بل واصل حلمها انطلاقه السريع حتى جلس فوق رئاسة الحزب ثم رئاسة الوزراة .

ليس هذا فقط . . بل كان مشوارها السياسى القصير داخل الملعب السياسى قائماً بقوةعلى مبادىء الشرعية السياسية والدستورية النابعة من حرية الاختيار فى الانتخابات العامة وممارسة العمل الحزبى !

ولا شك أن اقترابها من أستاذها . . السياسى الكبير « سليمان ويميريل » ـ الذى ترك رئاسة الحزب لهذه التلميذة المجتهدة . . ليتفرغ لرئاسة تركيا التى فاز بها بعد الانتخابات التى أجريت فى أعقاب وفاة رئيس تركيا الراحل « تورجوت أوزال » كان فيه أكثر من فائدة . . فقد شجعها على مواصلة مشوارها السياسى بعد أن اختارها فى منصب وزير الاقتصاد وهى عضو فى حزب الطريق القويم أو المستقيم . . وكانت فى الوقت نفسه عضواً فى البرلمان التركى عن هذا الحزب ثم انطلقت طموحاتها السياسية فى اتجاه منصب نائب الحزب ثم منصب الرئاسة الذى استحوذت عليه فى الانتخابات الداخلية للحزب بعد انتصارها على منافسها آنذاك وزير الداخلية .

وعلى أية حال فقد شهدت الأيام . . بل والسنوات القليلة التى قضتها تشيلر فى الملعب السياسى أنها كانت جديرة بحق بتولى هذا المنصب الكبير . . بما أحرزته من انتصارات سياسية واجتماعية لتركيا على المستويين المحلى والدولى ، وما زالت آثار هذه السياسة ماثلة للأذهان حتى بعد تركها لمنصبها وعودتها إلى حكومة المعارضة أو حكومة الظل داخل البرلمان التركى ، على أمل العودة من جديد وبنفس القوة بعد أن قبلت فى أخريات أيامها السياسية فى الحكومة أن تقتسم السلطة السياسية مع منافسها القوى « نجم الدين أربكان » زعيم حزب الرفاة الإسلامى .

ولولا بعض الممارسات السياسية التى لم تسترح لها المؤسسة العسكرية التركية والتى قادها حزب الرفاة خاصة فى اتجاه إعادة تركيا إلى المجتمع الإسلامى وإخراجها من العلمانية التى وضع أسسها كمال أتاتورك ، لاستمرت تشيلر على الأقل فى منصب نائب رئيس الوزراء لفترة قصيرة . . ثم بعد ذلك تعتلى عرش منصب الرئيس فيما يسمى فى السوق السياسى بتبادل السلطة والمناصب ! .

وحين نواصل حديث الحظ فى حياة السيدة «تانسو تشيلر» داخل الملعب السياسى، لابد وأن نشير إلى صورتها الجميلة ووجهها المألوف مريح القسمات ، هذه الصورة كانت بحق أهم بند من بنود جواز مرورها الصاروخى داخل أروقة الشارع السياسى التركى، ويكفى أن نقول ماقاله بعض المحللين السياسيين الأتراك من أن حزب الطريق القويم أو المستقيم قد استخدم صورة «تانسو» الجميلة أثناء الإعداد للانتخابات العامة فى عام ١٩٩١، وقدموها للشارع التركى كصورة مبشرة للمستقبل، وكدليل على أن حزبا عصريا يقدر النساء .

ومن المفارقات العجيبة فى مشوار حياة هذه السياسية الجميلة أنها كادت تدخل السجن فى أخريات أيامها السياسية بسبب اتهام المؤسسة العسكرية لها على إثر خلاف سياسى . . بأنها كانت عميلة للمخابرات الأمريكية ، وقالوا إن علاقتها المؤكدة بهذا الجهاز كان وراء نجاحها الصاروخى غير المسبوق فى الحياة السياسية ـ ولولا تدخل النائب العام التركى بعدما قُدم إليه مستندات تكذب هذا الادعاء ، فأسقط هذه التهمة عن السيدة الجميلة لقُضى على مستقبلها السياسى كلية ! بل وأكثر من ذلك واجهت تانسو تشيلر خطر الموت اغتيالاً على أيدى بعض عناصر من حزب العمال الكردستانى المحظور نشاطه حيث أعلنت الصحف التركية الصادرة فى شهر مارس من عام ١٩٩٧ انه تم إحباط مؤامرة كانت تستهدف حياة هذه السياسية الجميلة ، بسبب مواقفها المتشددة ضد الأكراد .

ورغم أن هذه السياسية القديرة قد تم اختيارها كأول رئيس وزراء لتركيا فى كل عصورها فى ١٤ يونية عام ١٩٩٣ وبعدما فازت بالشكل الديمقراطى بمنصب زعيم الحزب الحاكم وهو حزب الطريق القويم أو المستقيم إلا أن تاريخها السياسى وكما سبق وذكرنا قد بدأ قبل هذا العام بسنوات قليلة ، ومشوار حياتها السياسى داخل الملعب السياسى التركى سواء الحزب أو الحكومة يوضح ذلك بجلاء .

●●●

لقد انضمت الدكتورة «تانسو تشيلر» إلى حزب الطريق المستقيم فى عام ١٩٩٠

عندما كان هذا الحزب فى صفوف المعارضة ، لكنها لم تلبث أن واصلت مشوارها السياسى بنجاح وقوة فاختيرت نائبا فى البرلمان عن إحدى ضواحى مدينة اسطنبول . . وفى العام التالى عينت وزيرا للشئون الاقتصادية . وبعد عامين آخرين اختيرت فى منصب نائب رئيس الحزب وزعيمه السياسى القدير سليمان ديميريل . . وفى ١٣ يونيه من عام ١٩٩٣ اختيرت لرئاسة وزعامة الحزب . . الذى كان طريقها نحو كرسى مجلس الوزراء .

ويقول المحللون السياسيون أن تانسو أو طانسو تشيلر ابنة رئيس الحى الأرستقراطى بمدينة اسطنبول عندما رشحت نفسها لزعامة حزبها بعد تخلى سليمان ديميريل عنه كان منافسها القوى هو « عصمت سيزجين » وزير الداخية . وقد اكتسحته لأنها اعتمدت فى دعايتها الانتخابية داخل الحزب على ترديد عبارة « إننى أتعامل مع الجميع من أعضاء الحزب بمحبة الأخت وحنان الأم » .

ويقول هؤلاء المحللون أيضا إن هذه السيدة المتألقة ظلت بعد ذلك تردد هذه العبارة فى كل زياراتها خاصة للمناطق الريفية أثناء الانتخابات العامة ، اكتسبت بها شعبية كبيرة خاصة بين أهل الريف الذين يهتمون كثيراً بالروابط الأسرية .

وكانت على حد قول هؤلاء المحللين السياسيين خلال الجلسات الصاخبة للبرلمان التركى تبدو وكأنها تحمل عصا سحرية تدفع بها النوم عن عيون هؤلاء النواب الموقرين لكى يواصلوا النقاش والجدال فى قضايا تركيا ومشاكلها الداخلية والخارجية حتى الساعات الأولى من الصباح . بل وفى كثير من المرات كانت تدعو أعضاء البرلمان الذين يبلغ عددهم ٤٥٠ عضواً إلى تناول الأطعمة الشهية التركية التقليدية .

وتقول البطاقة العائلية للسيدة «تانسو تشيلر» أنها من مواليد مدينة اسطنبول كبرى مدن تركيا فى خريف عام ١٩٤٦ . . وديانتها الإسلام ، واسمها الرسمى «أوتشران تشيلر » أما تانسو أو طانسو فهو اسم الدلع الذى اشتهرت به ، واسم والدها حسين نجاتى ، واسم أمها السيدة زبيدة .

وقد عمل أبوها فى بداية حياته صحفياً . . كما أصدر صحيفة فى اسطنبول لم تلق

رواجاً كبيراً ، فترك الصحافة إلى العمل الحكومى حيث تقلد منصب مدير العلاقات العامة فى بلدية اسطنبول ، ثم أصبح رئيسا للحى الأرستقراطى بالمدينة ، وظل بهذا المنصب حتى أحيل إلى المعاش منذ عشر سنوات .

والغريب كما يجمع على ذلك العديد من المحللين السياسيين أن السيدة تشيلى نفسها لم تفكر فى الاشتغال بالسياسة . . إلا منذ ٥ سنوات فقط ، وكانت قبل ذلك تكتفى بالتدريس فى الجامعة بعد حصولها على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد من إحدى الجامعات الأمريكية ، وقد عينت بعد عودتها إلى تركيا أستاذاً مساعداً بجامعة البسفور عام ١٩٧٨ ثم أستاذ ورئيس قسم الاقتصاد فى عام ١٩٨٣ .

وظلت فى حياتها الجامعية التقليدية حتى اقتنعت بالنزول إلى الملعب السياسى ، فتقدمت للانتخابات العامة كنائب فى البرلمان عن حزب الطريق المستقيم ونجحت فى هذه الانتخابات ثم جاءتها فرصتها السياسية الثانية حين تم اختيارها لمنصب وزير الاقتصاد . .

ومنذ هذا التارخ بدأ نجمها السياسى يلمع بقوة حيث عرفها الشارع التركى سواء بجمالها أو بما تقدمه من أعمال متميزة ، وكانوا يطلقن عليها لقب «الوزيرة الجميلة» . ثم جاءت اللحظة التاريخية فى حياتها وحياة نساء تركيا بعد اختيارها نائبا لرئيس الحزب . . ثم فى منصب الرئيس خلفاً لسليمان ديميريل الذى فاز فى انتخابات الرئاسة التركية .

■■ نساء فى الطريق إلى الزعامة ..

والبقية ربما تأتى غداً

لايمكن بأى حال من الأحوال أن يكتمل حديث الشرعية السياسية ، ودور المرأة داخل الملعب السياسى ، إلا بإلقاء بقية الأضواء على النساء الزعيمات ، بصرف النظر عن الحديث عن منابع هذه الشرعية بشقيها الأول والثانى ؛ لأنه فى رأينا أن مجرد تفكير المرأة فى خوض غمار الانتخابات العامة ، ومحاولة أن تجد لصوتها صدًى عالياً داخل مجتمعها هو البداية الحقيقية لنشاطها السياسى ، وتحقيقها للمنبع الثانى من منابع

الشرعية السياسية ، الذى يتمثل فى مكونات الشخصية السياسية التى تساعدها بقوة أن تؤدى دوراً عظيماً فى خدمة مجتمعها .

من أجل ذلك رأينا من واجبنا تجاه كل نساء العالم ، تقديم المزيد من النماذج الناجحة التى برهنت على حضورها القوى داخل الحياة السياسية فى مختلف بقاع الدنيا شرقاً وغرباً ، دون أن نتمسك بالتقسيم الجغرافى أو تخصيص حيز معين للحديث عن امرأة بعينها ، ودون أن ندخل أنفسنا فى تفاصيل التقسيمات التى يحلو لبعض المحللين السياسيين أن يطلقوها شرقاً وغرباً ، وربما كان دافعنا إلى ذلك عدم وضوح الرؤية والتجربة بالنسبة للمجتمع السياسى الذى سوف نتناوله ، والذى تمثله امرأة ما تحبو وتتقدم نحو الزعامة السياسية . والمهم لدينا الآن أن نسوق المزيد من النماذج النسائية الناجحة فى هذا الميدان .

ففى النرويج ـ تلك الدولة الأوربية التى تقبع فى الشمال الأوربى ، وفى الوقت الذى كانت فيه المناقشات حادة داخل المجتمع الباكستانى عقب سقوط « بنظير بوتو » رئيس الوزراء ـ كانت امرأة تدعى « جروهارلم برونتلاند » تتأهب لتولى منصب رئيس وزراء النرويج ، وبعد ذلك بأيام نجحت سيدة أخرى تدعى « مارى روبنسون » المحامية الاشتراكية فى أن تكون أول رئيس وزراء لإيرلندا الجنوبية ، والأمر بالنسبة لسيدة النرويج الأولى لم يكن جديداً عليها ؛ إذ نجحت من قبل ثلاث مرات فى تولى رئاسة الوزارة فى النرويج منذ عام ١٩٨١ ، وهى بذلك من المنافِسَات لمسز تاتشر فى مثل هذا المنصب ، ولم تكتف امرأة مثل «برونتلاند » النرويجية بالوصول إلى منصب الزعيمة السياسية ، بل أرادت أن تؤكد دائماً أن المرأة تنجح فى منصب الحاكم والمحكوم على السواء ، فاختارت تسع سيدات فى حكومتها الجديدة الأخيرة ، وكانت قد اختارت من قبل سبع سيدات أخريات فى حكومتها الأولى ، لم تكن هذه السيدة الطموح بعيدة عن آمال وأحلام ومشاكل بلادها ، بل حاولت أن تولى بلادها المزيد من الاهتمامات خاصة فيما يتعلق بثلاث قضايا أساسية تدور حول البيئة ، والبطالة ، والطفولة .

●●●

أما التجربة السياسية الناجحة الجديدة فى الملعب السياسى فتأتى هذه المرة من أمريكا الجنوبية ، حيث استطاعت سيدة مناضلة تدعى « مسز فيوليتا شامورو » وتبلغ من العمر ستين عاماً أن تثبت وجودها داخل الحياة السياسية فى « نيكاراجوا » ، وقد ركزت فى دعايتها الانتخابية على الناحة الاجتماعية التى تثيرعواطف الجماهير ، فهى أرملة الصحفى المعارض « بيدر شامورو » الذى اغتاله أعوان الديكتاتور السابق «سوموزا » عام ١٩٧٨ ، وهذا الاغتيال كان دافعها نحو دخول عالم السياسة بدون خوف ، من أجل الأخذ بثأر زوجها القتيل ، ووضح جليًّا مدى تمسك هذه المرأة بكيانها العائلى ، حتى وهى فوق كرسى الزعامة ؛ إذ كانت تحرص دائماً ـ ومازالت ـ على أن يكون حولها دائماً أفراد أسرتها ، خاصة ابنها الصحفى « بيدو » وزوج ابنتها الذى قاد معركتها الانتخابية الأخيرة ، هذا فى الوقت الذى لايزال اثنان من أولادها أعضاء فى حزب « الساندونيستا » المعارض .

وبجانب ذلك كانت هناك كان عوامل متعددة ساهمت فى وصول هذه المرأة إلى أعلى قمة سياسية فى بلادها ، يأتى فى مقدمتها اللعب على وتر حل الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى طالما عانت منها دول مثل « نيكاراجوا » التى يرجع سببها فى الأساس إلى الحظر الاقتصادى الأمريكى الذى كان يحاصر نظام الرئيس السابق « أورتيجا » ونظامه . . وتحاول مسز « فيوليتا » من خلال موقعها السياسى أن تعيد إلى بلادها الأمن المفقود .

●●●

وفى جزيرة « هايتى» لعب القدر دوراً رئيسيًّا فى دخول المرأة السمراء الأنيقة «إرثا باسكال ترويو » البالغة من العمر ستة وأربعين عاماً الحياة السياسية ؛ حيث إنه وبعد نصف قرن من حكم الديكتاتورية العائلية للديكتاتور «دوفاليه» اختار تحالف الأحزاب فى هايتى مسز « إرثا » كى تكون رئيسا مؤقتا للبلاد إلى حين إجراء انتخابات تشريعية ورئاسية جديدة بعد رحيل الديكتاتور .

ولم تكن امرأة مثل « إرثا » تعد نفسها لهذا المنصب ، أو لم تكن تحلم بهذا المنصب ،

برغم أنها كانت تعمل قاضية وكاتبة صحفية أيضاً . وقصة اختيارها فى هذا المنصب ترجع إلى ماقرره تحالف الأحزاب فى دولة « هايتى » من ضرورة تعيين رئيس للبلاد من قضاة محكمة النقض ، وحين بحثوا عن قاض مناسب لهذا المنصب اكتشفوا أن كل قضاة محكمة النقض على علاقة بالحكم الديكتاتورى السابق . وبعد بحث شاق وجد التحالف بغيته فى تلك السيدة الوحيدة بمحكمة النقض ، والتى لم يكن لها علاقة من قريب أو بعيد بحكم الديكتاتور السابق . وهكذا ابتسم الحظ لهذه المرأة كى تحترف السياسة كرئيس لدولة هايتى التى يبلغ تعداد سكانها ستة ملاين ونصف مليون نسمة . حين تم اختيار السيدة الزعيمة التى وعدت بحل مشاكل البلاد ، وإعادة السلام ، والعمل على عودة الديمقراطيةوالحريات العامة .

●●●

وإذا ماتركنا مقعد الزعامة السياسية ، ورئاسة الأحزاب الذى تحدثنا عنه وعن نجاح المرأة فيه ،و نزلنا درجات قليلة ، فسوف نقابل نساء عديدات دخلن عالم السياسة بقوة ، سواء فى المجتمعات التى تسير وفق الشرعية السياسية ، أو وفق الشرعية العصبية والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة فى الشرق والغرب .

ويكفى القول هنا بأن المرأة داخل الولايات المتحدة قد زحفت مسافات طويلة نحو الزعامة السياسية ؛ إذ تناقلت وكالات الأنباء أخباراً عن تقدم المرأة لانتخابات الرئاسة الأمركية ، وبرغم أن الطريق لا يزال أمامها طويلاً فإن تفكيرها فى التقدم لهذا المنصب يعد نجاحاً باهراً ، وربما يأتى اليوم الذى نجد فيه رئيس الولايات المتحدة امرأة ، مادامت هناك حريات ، بشرط أن تسود الشرعية السياسية .

●●●

وفى ظل هذه الشرعية السياسية المعنية . . ظهرت أيضا فى الولايات المتحدة الأمريكية شخصية نسائية بارزة ، أخذت مكانة متقدمة داخل الحكومة الأمريكية الحالية فى ظل إدارة الرئيس بيل كلينتون . حيث تولت ولأول مرة منصب وزير الخارجية الأمريكى . . وهى السياسية التى بدأ نجمها يلمع بشدة فى الملعب السياسى محليا

ودولياً السيدة مادلين أولبرايت التى كانت من قبل توليها هذا المنصب الكبير . . المندوب الدائم للولايات المتحدة الأمريكية فى الأمم المتحدة .

لقد تمكنت هذه السياسية اللامعة من إقناع أعضاء الإدارة الأمريكية سواء فى مجلس الشيوخ أو النواب بأنها الأجدر من مثيلتها حتى من الرجل نفسه بتولى هذا المنصب الكبير الذى يحمل عبء توجيه السياسة الأمريكية فى العالم كله ، ولذلك فهو يعادل تقريبا فى العديد من دول العالم منصب رئيس وزراء !

ومما تحدث عنه المحللون السياسيون فيما يتعلق بشأن هذا الاختيار . . الأسباب الحقيقة التى أجبرت الرئيس الأمريكى كلينتون لاختيار مادلين أولبرايت دون غيرها فى هذا المنصب الخطير الذى سبقها إليه أعلام السياسية الأمريكية من أمثال هنرى كيسنجر وكريستوفر وآخرين .

ومما قيل فى هذا السياق أن الرئيس الأمريكى كلينتون باختياره لهذه السيدة إنما كان يعبر عن امتنانه لوقوف نساء أمريكا خلفه فى جولته الانتخابية الثانية والتى أسفرت عن فوزه بهذه الجولة أيضا ، كما وقفت السيدة «هيلارى كلينتون» بقوة وراء هذا الاختيار حتى استطاعت إقناع زوجها بأنه سوف يدخل التاريخ كأول رئيس يعين امرأة فى منصب وزير الخارجية خلفاً لـ « وارين كريستوفر» .

ومن الأسباب الأخرى التى ترددت بشأن هذا الاختيار أن الإدارة الأمريكية قررت مكافأة المرأة القوية التى وقفت بالمرصاد للدكتور بطرس غالى الأمين العام للأمم المتحدة السابق، بل وكان لها الفضل الكبير فى إخراجه من منصبه بصفته أول أمين عام للمنظمة الدولية من البلاد العربية .

● ● ●

ومادلين أولبرايت من مواليد عام ١٩٣٨ وهى بذلك أكبر من الرئيس الأمريكى بيل كلينتون بتسع سنوات . كما أنها ليست أمريكية الأصل . . بل هى تشيكية ، وديانتها يهودية ، وقد هربت أسرتها من تشيكوسلوفاكيا السابقة أثناء حكم النازى لها، وبعد إقامة قصيرة فى بريطانيا حيث عمل والدها هناك فى السفارة التشيكية ،

وصلت أسرتها إلى أمريكا واستقرت فى ولاية كولورادو . . وكانت الفتاة مادلين تبلغ من العمر فى هذه الفترة ١١ عاماً فقط . ولم تذهب إلى أمريكا مع أسرتها فى الفترة نفسها . . بل فضلت استكمال تعليمها فى سويسرا ، وبعد ذلك لحقت بأسرتها حيث التحقت هناك بالجامعة ، وفى الفترة نفسها التقت بزوجها «جوزيف أولبرايت» وتزوجا فى عام ١٩٥٥ . . وظلت لعدة سنوات متفرغة لرعاية أسرتها وبناتها الثلاث . .

وكانت تشغل نفسها فى أوقات الفراغ بتعلم اللغة الروسية . . إلى جانب إتقانها للغات الانجليزية والتشيكية والفرنسية . كما استعدت فى الفترة نفسها لإعداد رسالة الدكتوراه التى تقدمت بها للجامعة فى العلاقات الدولية .

وفى عام ١٩٦٨ بدأ نشاطها السياسى تتضح معالمه أكثر فانضمت إلى الحزب الديمقراطى بعد نجاحها فى المشاركة فى حملات التبرع سواء لبناء المدارس أو لتمويل حملات الناخبين ومنذ هذا التاريخ انطلقت حياتها السياسية وحياتها العامة على حد قول المحللين السياسين - بسرعة الصاروخ - وساعدها فى ذلك قدرتها على العمل الشاق . . حيث عينها السيناتور « موسكى » بعد مشاركتها فى حملة تمويل انتخابه مستشارة له فى مجلس الشيوخ ، وعندما أصبح بيرجنيسكى أستاذها فى رسالة الدكتوراه ، مستشاراً للأمن القومى فى إدارة الرئيس كارتر فى عام ١٩٧٧ اختار مادلين أولبرايت لتتولى علاقاته مع الكونجرس .

ثم كانت فترة الثمانينيات هى البداية الحقيقية لمرحلة تطور هذه المرأة داخل الملعب السياسى . . وقد تحولت من مجرد موظفة من العاملين فى الادارة الأمريكية إلى نجمة سياسية ، والغريب كما تقول سطور تاريخ حياتها . . أن هذه النجومية داخل الملعب السياسى تزامنت مع فشلها فى حياتها الخاصة . .

ففى بداية عام ١٩٨٢ أعلن زوجها « جوزيف أولبرايت » فجأة وبعد ٢٣ عاماً إنهاء حياته الزوجية معها لأنه على علاقة بامرأة أخرى ! . وبعد الطلاق ألقت أولبرايت بثقلها فى عالم السياسة ، وقد استفادت من عملها الطويل فى البيت الأبيض ومجلس الشيوخ ، فعملت مستشارة فى حملة كل من المرشحين الديمقراطيين مونديل ودوكاكيس

. . وفى عام ١٩٨٩ تولت رئاسة مركز السياسة القومية والذى كان وارين كريستوفر أحد الأعضاء العاملين به . .

وعندما تولى بيل كلينتون رئاسة الولايات المتحدة اختارها لرئاسة وفد بلادها فى الأمم المتحدة . وكان ذلك فى عام ١٩٩٢ . . ثم اختارها فى فترة رئاسته الثانية وزيرا للخارجية الأمريكية .

وكما يقول التاريخ السياسى للمرأة الأمريكية فإن مادلين أولبرايت رغم أنها أول سيدة تتولى منصب وزير الخارجية فى تاريخ أمريكا إلا أنها لم تكن أول امرأة تتولى منصب وزير فى الإدارة الأمريكية . . بل سبقتها السيدة «فرانسين بيركينز» التى اختارها الرئيس روزفلت فى الإدارة الأمريكية فى منصب وزير ، وكان مثل بيل كلينتون ينتمى إلى الحزب الديمقراطى .

● ● ●

وفى الفترة الأخيرة من إعدادنا لهذا الكتاب لهذا الكتاب تناقلت وكالات الأنباء خبراً عن اختيار زعيمة سياسية جديدة لمنصب رئيس وزراء فرنسا ، وقد آثرنا ونحن على وشك اختتام هذه الدراسة ألا نغفل مثل هذه التجربة الجديدة ، وحرصنا من جانبنا على ضرورة إلقاء بعض الضوء على هذا الاختيار ، باعتباره يتمشى مع موضوع هذه الدراسة .

ويقول مضمون الخبر الذى نشرته صحف العالم : إن الرئيس الفرنسى ميتران قد اختار إحدى السيدات لتولى منصب رئيس الوزراء خلفاً لميشيل روكار الذى قدم استقالته من أجل التفرغ لانتخابات الرئاسة الفرنسية القادمة ، هذه السيدة تدعى «إديث كريسون » .

وقد أثار فرانسوا ميتران بهذا الاختيار مفاجأة كبيرة ، ليس فقط على مستوى رجل الشارع الفرنسى ، بل لدى الأوساط السياسية الفرنسية نفسها ، المؤيدة قبل المعارضة .

ولكن المثير فى هذا الاختيار أن السيدة « أديث كريسون » لم تسع إليه بل جاءها

الاختيار من فوق ، من قصر الإليزيه . ودليلنا على ما نقوله ما ذكره مراسل أخبار اليوم فى باريس الدكتور وليم ويصا من أن هناك سؤالاً مطروحاً يتعلق بهذا الاختيار ، وهو: لماذا اختار ميتران سيدة لهذا المنصب قبل عامين فقط من الانتخابات التشريعية؟ .

وهل تنجح « كريسون » فى هذه المهمة الصعبة فى عالم الرجال الذين لم يعتادوا فى المجتمع الفرنسى حتى الآن أن تتولى امرأة هذا المنصب الخطير ؟ ! .

والإجابة ـ كما يؤكد ذلك الدكتور ويصا ـ جاء ذكرها على لسان أديسون نفسها ، التى قالت بعد ساعات من اختيارها : « كنت أحلم مثل أية فتاة بالحب والزواج وممارسة مهنة تتلاءم مع دراستى فى عالم الاقتصاد ، حيث أعددت رسالة الدكتوراه حول « وضع المرأة فى عالم القرية » .

ومهما كان الهدف من الاختيار ، فالمهم أن امرأة كانت تجلس على مقعد رئاسة الوزارة الفرنسية ، وهى بذلك تُعد فى مصاف الزعيمات السياسيات ، ومن أجل ذلك أصبح لها علينا حق تعريف الناس بها حتى تكتمل الصورة ونحسن الحكم عليها ، ومازالت الأيام بيننا ، والأحداث طويلة ، والعبرة بالاستمرار .

لم يكن للمرأة الفرنسية حق الانتخاب حتى عام ١٩٤٥ . والآن يوجد داخل البرلمان الفرنسى ٣٤ سيدة فقط ضمن أعضائه البالغ عددهم ٥٧٧ عضواً .

أما « أديث كريسون » فإنها تدعى « بول ديبستر » وقد ولدت فى عام ١٩٣٤ وتنحدر من أسرة كانت تعمل فى الحقل المدنى ، وتعيش فى إحدى ضواحى باريس ، وكان يطلق عليها اسم « أديث كامبيون » . وقد تخرجت فى مدرسة « اتسن ـ آى ـ سى ـ جيه ـ إف » وهى مدرسة كبيرة متخصصة فى تدريس الأعمال للنساء ، وعقب تخرجها وحصولها على درجة الدكتوراه فى الدراسات السكانية . . تزوجت من «جاك كريسون» ، المدير التنفيذى لشركة بيجو ، وأنجبت منه شابين .

وقد انضمت « أديث » لأول مرة لحركة ميتران عام ١٩٦٥ . . وتُدْعَى مؤتمر

المؤسسات الجمهورية ، والتى يمثل باعثها الرئيسى فى مناصبة شارل ديجول العداء . وقد أُسْنِدَ إليها عمل بسيط للغاية ، عندما كان ميتران يحاول بسط سيطرته على الحزب الاشتراكى فى عام ١٩٧١ ، حيث تم تعينها فى القطاع التنفيذى للحزب عام ١٩٧٥ ، ثم فازت فى الانتخابات البلدية لمدينة « ثيورى » وهى مدينة فرنسية صغيرة عام ١٩٧٦ ، وفى نفس السنة قامت بنشر أفكارها السياسية فى كتاب ، وعقب ذلك بعامين تم انتخابها فى البرلمان الأوربى وفى أعقاب نجاح ميتران وتوليه رئاسة الجمهورية حصلت على مقعد فى البرلمان عام ١٩٨١ ، وكات المرأة الاشتراكية الوحيدة التى انتزعت مدينة هامة من أيدى اليمين الفرنسى فى عام ١٩٨٣ ، وذلك فى انتخابات محلية عندما تولت منصب عمدة مدينة تليرو ، وهى مركز الأعمال الفرنسية. وقد تزامنت الفرصة التى واتتها لإدارة مدينة متوسطة الحجم مع تعيينها وزيرا للتجارةالخارجية ، وهو المنصب الذى فجر طاقتها السياسية ، وقبيل توليها هذا المنصب السياسى الكبير رئيسا لوزراء فرنسا عملت أيضاً مستشارة دولية لمجموعة «شنيد » للصناعات الثقيلة ، ويرجع تاريخ ارتباطها بالرئيس ميتران أساساً إلى محاولته الأولى للوصول إلى منصب الرئاسة فى عام ١٩٦٥ ، من أجل ذلك أعطاها الفرصة كاملة لصعود السلم السياسى داخل الحزب الاشتراكى ، حتى إنها وصلت فى سن مبكرة إلى مقعد فى اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى ، وفى عام ١٩٨١سمح لها بتولى منصب وزير الزراعة الذى استقالت منه عام ١٩٩٠ ، ومع ذلك لم تتوقف اتصالاتها بالرئيس ميتران ، وكان آخر لقاء بينهما قبل أسبوع من استقالة ميشيل روكار رئيس الوزراء الفرنسى السابق ؛ ومن ثم كان اختيارها رئيسا لوزراء فرنسا خلفاً له .

obeikandl.com

المـــراجـــع

أولاً ـ الكتب :

●● المرأة بين الجاهلية والإسلام ـ سلسلة دعوة الحق

●● إسلام بلا مذاهب ـ د. مصطفى الشكعة ـ الطبعة السابعة .

●● النظم السياسية والقانون الدستورى ـ د . فؤاد العطار .

●● المرأة المصرية بين الماضى والحاضر ـ أحمد طه محمد .

●● المرأة المصرية من الفراعنة إلى اليوم ـ درية شفيق .

●● المسلمات الأوائل ـ د. إسماعيل حلمى .

●● تطور المرأة عبر التاريخ ـ باسمة الكيال .

●● المشاركة السياسية للمرأة ـ د. سامية خضر .

●● المرأة الجديدة ـ قاسم أمين .

●● المرأة المصرية والتغير الاجتماعى ـ لطيفة محمد الم .

●● سنوات الحريم ـ هدى شعراوى .

●● أوراق راسل ـ من خطاب توماس راسل إلى والده ـ مركز الشرق الأوسط .

●● الشباب والمشاركة السياسية ـ على عبد الرازق حلبى .

●● إعداد الإنسان الاشتراكى العربى ـ مصطفى المستكاوى .

●● العوامل البنائية المحدودة للمشاركة الاجتماعية

obeikandl.com

●● جزء من روحى ـ مذكرات وينى مانديلا
●● من واحد لعشرة ـ مصطفى أمين .
●● من أسرار الساسة والسياسية ـ محمد التابعى .
●● فاروق الأول ـ الملك الذى غدر به الجميع ـ عادل ثابت .
●● أنور السادات : شخصيته وعصره ـ الجزء العاشر ـ د . أحمد شلبى .
●● خريف الغضب ـ محمد حسنين هيكل .
●● وراء كل ديكتاتور امرأة ـ أنور محمد .
●● المرأة ـ سيمون دى بفوار ـ ترجمة سمير السهيلى .
●● العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية ـ د . أحمد على المجدوب .
●● (١٠٠) يوم فى أحراش إفريقيا ـ حامد سليمان
●● المرأة العصرية ـ إينسلى ميرز .
●● القصة فى الأدب العربى وبحوث أخرى ـ محمود تيمور .
●● تاريخ الحركة النسائية فى مصر ـ د . آمال السبكى
●● سيلان الجزيرة المقدسة ـ حنفى سليمان .
●● أنديرا غاندى ـ سيرة سياسية ـ ظفر الإسلام ـ ترجمة محمد حلمى مراد
●● على إمام المتقين ـ عبد الرحمن الشرقاوى ـ دار الشروق .

ثانياً ـ الدوريات

١ ـ الصحف :

الأخبار ـ الأهرام ـ الجمهورية ـ الوفد ـ الأحرار ـ الأهالى ـ جريدة الجرائد العالمية ـ الأنباء الكويتية ـ الصحافة السودانية ـ الصحافحة الجزائرية ـ الدستور الأردنية ـ عكاظ السعودية ـ الجارديان البريطانية .

obeikandl.com

٢ ـ المجلات :

آخر ساعة ـ روز اليوسف ـ صباح الخير ـ نصف الدنيا ـ كل الناس ـ كل العرب ـ المستقبل ـ المنار ـ مجلة نون ـ مجلة النهضة النسائية عدد عام ١٩٣٨ ـ مجلة مركز دراسات الوحدة العربية .

obeikandl.com

obeikandl.com

كتب للمؤلف

١) سؤال للبيع	ـ مجموعة قصصية صدرت عام ١٩٨٠ عن دار الفكر
٢) الحب فى سوق السلطان	ـ مجموعة قصصية صدرت عام ١٩٨٠ عن دار الفكر تحولت إلى مسلسل إذاعى .
٣) استقالة عشماوى	ـ رواية صدرت عام ١٩٨٣ عن مكتبة غريب .
٤) الخروج من الباب العالى	ـ رواية صدرت عام ١٩٨٦ عن مؤسسة النشر والإعلام تحولت إلى سهرة إذاعية .
٥) الانتحار مرة أخرى	ـ مجموعة قصصية صدرت عام ١٩٨٨ عن أخبار اليوم تحولت إحدى القصص بها ـ الميراث الحى ـ إلى سهرة إذاعية .
٦) وقال الحب	ـ رواية صدرت عام ١٩٨٩ عن دار غريب
٧)أوراق فى السياسة والحب والحرب	صدر عن الدار المصرية اللبنانية عام ١٩٩١ .

obeikandl.com